لماذا يكرهوننا؟

«حقوق الإنسان هى ما يتطلبه العقل ويأمر به الضمير؛ هذه الحقوق هى الإنسان، والإنسان هو تلك الحقوق، وحقوق الإنسان هى ما يملكه أى شخص بوصفه كائنًا إنسانيًا؛ كلنا كائنات إنسانية، وجميعنا يستحق حقوق الإنسان؛ لأنه لا تحقق لواحدة من هذه الحقوق بدون بقيتها. . . . فلا يمكن للمرء أن يختار ويلتقط من بين حقوق الإنسان، ويتجاهل بعضها بينما يصر على البعض الآخر».

سكرتير عام الأمم المتحدة

كوفى عنان

قام الإرهابى الأمريكى «تيموثى ماكفاى» قبل صدور الحكم عليه وصرح قائلا: إننى أرغب فى الاستعانة بكلمات القاضى «براندیز» ذى الصوت المعارض فى «أولمستيد» للتعبير بالنيابة عنى؛ لقد كتب: «حكومتنا هى صاحبة النفوذ ـ المعلم الكلى ـ وهى تعلّم الشعب كله بوصفها نموذجًا للخير أو للشر»[1]. ويمضى القاضى براندیز فى الكتابة فى معارضته: «الجريمة ناقلة للعدوى عندما تصبح الحكومة هى الخارجة عن القانون، فإنها تفرخ احتقار القوانين؛ وإنها تدعو كل شخص ليصبح هو القانون بشخصه».

وكان انفجار مدينة أوكلاهوما هو أكبر مذبحة فى أمريكا يقوم بها أحد أبنائها منذ عام ١٩٩٣م، وهو العام الذى اتخذت فيه الحكومة الفيدرالية قرار الاستيلاء على

---

(١) جور فيدال: الحرب الأبدية من أجل السلام الدائم. ص ٨١ / ٢٠٠٢م.

مستعمرة طائفة سبتيو اليوم السابع الدينية (الفرع الداودى) بالقرب من واكو تكساس[١] ، وكان الاسم الحركى للهجوم فى واكو هو «وقت الاستعراض» .

اجتاحت دبابات الحرس الوطنى فى تكساس ـ بالاشتراك مع قوات العمليات الخاصة السادسة للجيش ـ المستعمرة بالغازات المميتة للأطفال والضارة صحيًا للكبار فى خرق للقانون الذى يمثل الحصن الأساسى لحرياتنا الهشّة ، والذى يحظر استخدام القوة العسكرية ضد المدنيين (Posse Comitatus Act) .

انتهت الساعات الست للهجوم فقط عندما التهمت النيران المبنى ، ثم داسته المركبات المدرعة من طراز «برادلى» . . . . فقد قتل أكثر من ثمانين من أعضاء الطائفة ، كان من بينهم سبعة وعشرون من الأطفال ، ومن ثم فقد برهن الاستعراض فى شهر أبريل ١٩٩٣م فى واكو على أنه أكبر مذبحة للأمريكيين بواسطة حكومتهم منذ عام ١٨٩٠ م ، عندما ذُبح عدد من المواطنين الأصليين الأمريكيين فى منطقة «ووندید نی» بجنوب داكوتا[٢] .

فسّر « ماكفاى» فى مجموعة من الرسائل التى أرسلها إلى «فيدال» القوة الدافعة التى تكمن وراء أفعاله فى أوكلاهوما : « كان الانفجار فى المقام الأول هجمة انتقامية : هجمة معاكسة ردًا على الغارات المتلاحقة (وما تبعها من عنف ودمار) ، التى نفذها العملاء الفيدراليون فى الأعوام التالية . لقد صممت على توجيه رسالة إلى حكومة أصبحت عدوانية بشكل متصاعد . وكان تفجير المبنى الفيدرالى يمثل تكافؤًا أخلاقيًا واستراتيجيًا لهجمات الولايات المتحدة على مبنى حكومى فى صربيا ، أو العراق ، أو دول أخرى»[٣] .

كان الفعل الإرهابى فى مدينة أوكلاهوما قد ارتكبه رجل بروتستانتى أبيض ، راودته الشكوك فى إخلاص حكومته من خلال خبراته مثل خدمته كجندى فى العراق . كتب «ماكفاى» أيضًا خلال هذه الفترة رسالة إلى صديق قال فيها : إنهم (العراقيين) طبيعيون مثلك ومثلى ، وهم (الحكومة الأمريكية) يحرضونك دعائيًا

---

(١) المصدر السابق . ص ٨٤ .

(٢) المصدر السابق . ص ٨٥ .

(٣) المصدر السابق . ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

للقضاء على هؤلاء الناس، فنحن نرى هؤلاء الأطفال الذين يتضورون جوعًا يأتون إلينا - ومعهم الكبار فى بعض الأحيان - لتسوّل الطعام، فأستطيع أن أفهم الآن لماذا كان الأطفال يقتلون رجالنا فى ڤيتنام؟

ففى العراق، مات نصف مليون امرأة وطفل؛ بسبب سوء التغذية خلال السنوات الثمانى الأولى من العقوبات، وفى العديد من المناسبات، أعلنت «مادلين أولبرايت» وزيرة الخارجية بوضوح أن كل هؤلاء الضحايا لا يكفون لإظهار فشل الحظر تجاه الديكتاتورية وعلى أن الحظر لم ينجح بشكل رئيسى إلا فى عقاب الشعب العراقى، ويمثل «صدام حسين» نموذجًا رئيسيًا على بيان عدم فاعلية الصداقات لغرض المزية الاستراتيچية فى خيار السياسات بعيدة المدى. بعد فراغه من الحرب مع إيران اجتاح «صدام» الكويت، وعاد مرة ثانية ليصبح عدوًا لشريكه السابق وهو الولايات المتحدة الأمريكية، وحيث إننا لم نعط «صدام حسين» أسلحة لمهاجمة الأكراد (مثلما فعلنا مع تركيا)، فقد أذعنّا للظلم الواقع عليهم، ولاستخدامه الغازات ضدهم، أثناء تحالفه مع أمتنا.

ولم يكن هناك فى تجربة «ماكفاى»: الحرب المقدسة، والكفر بالمسيحية، وقيود الحرب والسلام، والحملات الصليبية، والشرق المعادى للغرب، والثقافة الإسلامية وإمكانية تعايشها مع الوقت المعاصر - ارتفاع لواحدة من هذه القضايا على السطح؛ لم تكن هناك أعذار أو شعارات مثيرة للحزن تصم الإسلام بوصفه منبعًا للإرهاب. وبمثل ما إن الدافع السياسى كان وراء الجريمة المسلحة التى اقترفها «ماكفاى» فى أوكلاهوما، كان الدافع السياسى وراء الجريمة المسلحة فى ١١ سبتمبر فى ذهن « أسامة بن لادن» الذى أقر بالجريمة فى شريط الڤيديو الخاص به، بغض النظر عن الفائدة المرجوة من وراء الجدل عن تورطه المباشر والفعلى، ويتشارك «بن لادن » و«ماكفاى» فى الدوافع الكامنة وراء فعلتيهما، وهى الكراهية لسياسة الولايات المتحدة التى اتّبعت فى مواقف محددة.

وطبقا لصحيفة «لوس أنچلوس تايمز»، كان ٨٥٪ من الأمريكيين على استعداد للتخلى عن بعض من حرياتهم من أجل إيقاف الإرهاب عقب التبعات الناجمة عن انفجار أوكلاهوما، وقد جرى تقليل هذه النسبة بواسطة استطلاعات الرأى فى

أعقاب الحادى عشر من سبتمبر، وفى الحقيقة فإن النسبة العظمى من هؤلاء الذين على استعداد للتخلى عن حرياتهم وحقوقهم الدستورية كانوا هم الأقليات، وهل نسينا بهذه السرعة العبودية أو احتجاز الأمريكيين ذوى الأصل اليابانى؟

وكتب «توماس پين»: ينبغى على كل من يرغب فى تأمين حريته، أن يحمى حتى عدوه من الظلم؛ لأنه إن تخلى عن هذا الواجب، فإنه يؤسس لسابقة سوف تطوله شخصيًا، ولقد استُفز «توماس چيفرسون» و«چيمس ماديسون» وبقية الآباء المؤسسين فى قبورهم، عندما تقدم بإلحاح الأصولى المسيحى من الجناح اليمينى «چون أشكروفت» بقانون «الوطنية الأمريكية»، صيغت هذه القوانين لتقود بوضوح نحو هدم العديد من مواد وثيقة الحقوق، التى تحمى الحق فى التقاضى والمحاكمات العادلة والسريعة، وحماية المدنيين من التحريات والاحتجازات غير القانونية، **وليس هناك من فرق بين أصولى محافظ يسلب منى حرياتى المدنية داخل أمريكا، وبين أصولى محافظ يسلب هذه الحقوق نفسها من شاب سعودى أو إيرانى أو أفغانى،** إننى أصرح بهذه المقولة مع المعرفة التامة بأن «إبراهام لينكولن» (الرئيس المحبب إلىّ) قد عطل العمل ببعض الحريات الدستورية خلال فترة الحرب الأهلية، لقد كان على خطأ هو الآخر أيضًا.

من الإنصاف أن نفترض أن «أشكروفت» وأمثاله لا يملكون برنامجًا معاديًا للإسلام، إنهم أصحاب برنامج معاد للآخر. وقد قام «لويس فريه» مدير المباحث الفيدرالية السابق بتنفيذ إجراءات مماثلة معادية للأمريكيين، من أجل الدفاع عن أراضينا عندما اتهم الدكتور «وين هولى» بأنه جاسوس شيوعى، وأظهر القاضى الفيدرالى الذى رفض الدعوى بوضوح أن حكومتنا قد أصابتنا بالخجل بأسلوب التعامل مع دكتور «لى» المواطن الأمريكى؛ حيث عطلت حقوقه مرتكزة بشكل رئيسى على شكوك تشكلت من أدلة واهية وقولبة نمطية.

وقياسًا على ما يحدث الآن، فستصبح الحرب على الإرهاب بالعجز نفسه الذى عليه عمليات تدمير منابع الإمداد فى أمريكا اللاتينية المسمّاة بالحرب على المخدرات، لا تهاجم أىٌّ من الحربين نقطة الارتكاز لأى من الإرهاب أو المخدرات، نحن نواصل شن الحرب على المخدرات دون أن نعالج الإدمان لدى الأمريكيين داخل الوطن (الذين يستهلكون الغالبية العظمى من إجمالى إنتاج أمريكا اللاتينية من الكوكايين). بالمثل، فإن

الحرب على الإرهاب التى لا تأخذ فى حسبانها الحقائق التى على الأرض التى تفرخ ردود الأفعال من العنف الناتج عن اليأس كإرهاب، لن تقوم بالارتقاء بصورتنا فى عيون العالم، أو بفهمنا عن هذا العالم.

يُفسّر العمل الإرهابى على أنه النشاط الذى:

(١) ينطوى على عمل من أعمال العنف، أو الأعمال ذات الخطورة على الحياة الإنسانية التى تشكل خرقًا لقوانين الجنايات فى الولايات المتحدة أو فى أية ولاية، أو الذى يعتبر من قِبل النظام القضائى فى الولايات المتحدة أو فى أية ولاية انتهاكًا إجراميًا.

(٢) يبدو مقصودًا به:

(أ) تهديد أو إكراه تجمع مدنى.

(ب) التدخل غير المشروع ضد سياسة حكومة ما عن طريق التهديد أو الإكراه.

(ج) التأثير على أداء حكومة ما عن طريق الاغتيال أو الخطف[١].

إذا كان هذا التعريف المطلوب تطبيقه، فعلى ذلك فقد تورط كلّ رئيس أمريكى منذ «چورچ واشنطن» فى أعمال الإرهاب، ولقد مُورس الإرهاب ضد السكان الأصليين لأمريكا من الهنود، وضد جيراننا من المكسيكيين فى تكساس بواسطة «ستيفن أوستن»، وضد الشعب الكوبى من خلال إجراءات الحصار الاقتصادى غير القانونية، وذلك طبقًا لتعريف الإرهاب الوارد فى قانون الولايات المتحدة.

ولقد تورطنا فى الإرهاب عندما قصفنا أكبر مصنع للأدوية فى السودان (مصنع الشفاء) والذى هم فى حاجة ماسة إليه، ردًا على تفجير سفارتين للولايات المتحدة فى أفريقيا، وعندما طالبت السودان بإجراء تحقيق من قبل الأمم المتحدة لتحرى أسباب هذا القصف، قامت إدارة الرئيس «كلينتون» بإيقاف التحقيق؛ وكتب سفير ألمانيا فى السودان: «من الصعب أن نحصر عدد الناس فى هذا البلد الأفريقى

---

(1)United states code con gressional and Adminis Trative news, 98.

Th congress, Second,1984, oct19, volume2. par 307798 Stat .2707(WestPublishing Co,1984).

الفقير، الذين راحوا ضحايا نتيجة لتدمير مصنع الشفاء، لكن رقمًا من بضع عشرات من الآلاف يبدو فرضًا معقولاً»[1].

ظهر الطغاة بطول التاريخ وعرضه بين الناس اليائسين فى جميع مناطق العالم، يعدون الجموع بحدوث التغيير وبحياة أفضل، ويستغل هذه الشخصيات والتابعون لهم محنة وبلوى المظلومين من أجل تمرير برامجهم السياسية الخاصة، وكان «أسامة بن لادن» والمتحلقون حوله من ضمن هذه المجموعة، ولا نذيع سرًا بأن حكومتنا قد ساهمت فى تنصيبه داخل عالم العنف والجريمة، ويكتب نعوم تشومسكى **«جهزت الولايات المتحدة بالتعاون مع حلفائها جيشًا ضخمًا من المرتزقة، ربما يتجاوز المائة ألف، وكانوا يجلبونهم من القطاعات الأكثر عسكرة الممكن العثور عليها، والتى حدث أنها كانت قطاعات الإسلاميين ذوى الغلو، والذين يطلقون عليهم هنا «الأصوليين الإسلاميين»، وكانوا من كل مكان، ومعظمهم ليسوا من أفغانستان»** [2].

«وكان للمخابرات المركزية الأمريكية دور تلعبه، وهو فى الحقيقة دور رئيسى، ولكن كان ذلك فى الثمانينيات عندما تعاونت مع المخابرات الباكستانية وآخرين مثل : المملكة العربية السعودية، وبريطانيا. . . إلخ فى تجنيد، وتدريب، وتسليح ما يمكن العثور عليه من الإسلاميين الأصوليين الأشد تطرفًا لخوض "الحرب المقدسة" ضد الغزو الروسى لأفغانستان» [3].

وقد ادّعى« بن لادن» وصحبه أن الدوافع التى تحركهم بالنيابة عن الشعوب الإسلامية هى هموم رئيسية ثلاثة :

(أ) الوجود المستمر للجيش الأمريكى فى المملكة العربية السعودية .

(ب) العقوبات الموقعة على العراق، والتى تسببت فى قتل مئات الآلاف من الأطفال نتيجة لسوء التغذية .

(جـ) السياسات المتعسفة والعنصرية لدولة إسرائيل .

---

(١) نعوم تشومسكى: ٩/١١ . ص ٤٩ مكتبة الشروق الدولية -٢٠٠١م.

(٢) نعوم تشومسكى : ٩/١١ . ص٨٢ مكتبة الشروق الدولية- ٢٠٠١م.

(٣) نعوم تشومسكى : ٩/١١ . ص ١٨ مكتبة الشروق الدولية-٢٠٠١م.

وقامت وزارة الخارجية بترديد ترنيمة أن الوضع الإسرائيلى ـ الفلسطينى لا يزيد أثره بوصفه مصدراً للعنف العارم عما يتبقى من مصائب على قائمة «بن لادن»، وإذا قبلت ذلك التحليل، فإن ذلك يعنى عدم الفهم لثقافة المقاومة السائدة، والتى انتشرت بين شعوب الشرق الأوسط منذ وضع سياسات الفصل العنصرى الإسرائيلى موضع التنفيذ، ومن خلال الدور الإسرائيلى فى المنطقة، اقتنعت الشعوب العربية أن التوسعات الإمبريالية مستمرة داخل أراضيهم حتى يومنا هذا. حق تقرير المصير هو القاسم المشترك الأعظم لقضايا النضال فى الشرق الأوسط، يرغب الشباب فى هذه المنطقة فى تحديد مصائرهم وأقدارهم، وقال الكثيرون: إن المسلمين الأمريكيين كانوا فى غاية البطء فى التعليق ردّا على إرهاب الحادى عشر من سبتمبر، فى اليوم نفسه تم الإعداد لمقابلة كل من مدير مجلس الشئون العامة الإسلامى والمستشار الأول للمجلس مع الرئيس بوش، وخلال الساعات الأربع التى أعقبت الهجمات، أعلن مجلس الشئون العامة الإسلامى استنكاره الشديد باسم ما يربو على أربعين هيئة إسلامية أمريكية.

وأنا لا أرد على الاتهامات من أجل الدفاع عن أفعالنا؛ لأنه ليس المطلوب من المسلمين الأمريكيين فعل ذلك، إنما ردى هو لتوضيح سجل الأحداث، ولماذا لم يُطلب من الأمريكيين البيض أن يستنكروا الهجمات الإرهابية فى أوكلاهوما؟ وكم عدد الجماعات المسيحية والميليشيات الأمريكية التى قادت حملات استنكار ضد أفعال «تيموثى ماكفاى»؟. ليس هذا بالسؤال التافه، بل إنه سؤال يتوجب على كل أمريكى أن يسأله، إذا كان يؤمن بقائمة الحقوق ويؤمن بالتعددية الشاملة ذات المساواة، وعندما يكون المطلوب من المسلمين الأمريكيين أن يبرهنوا على ولائهم لأمتنا، فالأمر هنا أمر إقصائى وغير أمريكى، مثلما كانت الهجمات على أمريكا بجميعها، ينبغى أن يكون الرد منها بجميعها. لا يتوجب تحميل المسلمين فى أمريكا مسئولية عن هجمات ١١ سبتمبر، أكبر من التى كانت على المسيحيين فى أعقاب انفجار موراه، المبنى الفيدرالى فى أوكلاهوما.

ولقد سعدت فى يونيو ٢٠٠٢م بحضور محاضرة ألقاها «ستيف إيمرسون» فى متحف الراديو والتليفزيون فى بيفرلى هيلز، والتى هاجم فيها «مجلس الشئون العامة الإسلامى» لدعمه لمؤسسة الأرض المقدسة، وادّعى أن المجلس على معرفة أن «مؤسسة الأرض المقدسة» هى واجهة لتمويل الأنشطة الإرهابية.

وعلى الرغم من أنه رمقنى بنظرة قذرة عند دخولى، فقد وجدت أن معظم ما ألقاه «إيمرسون» كان غنيًا بالمعلومات، وكان ناجحًا فى التشكيك فى بعض الزعماء الذين يسمون أنفسهم بـ«المعتدلين»، من خلال استعمال أقوالهم الخاصة التى وردت فى الدوريات العامة.

وكانت هناك، على الرغم من ذلك، بعض الاتهامات غير القائمة على أساس من الحقيقة والتى أعلم عنها بناء على معلومات شخصية، ومن بينها اتهام مؤسسة الأرض المقدسة، و دعنى أبرز للعيان القسم الثالث من البحث الخاص بـ «مجلس الشئون العامة الإسلامى» عن سياسة الولايات المتحدة المضادة للإرهاب، والذى يبدأ بالتوصيات المقدمة إلى هيئات المسلمين الأمريكيين، وأولى هذه التوصيات هى:

«ينبغى على جميع هيئات تقديم التمويل لأسباب إنسانية للأجانب، أن تحظى بأقصى شفافية مالية، بالإضافة إلى المسئولية المؤسسية.

يتوجب على الهيئات الإسلامية تبنى سياسات موازنة علنية، بحيث يمكن للأعضاء فحص حسابات الهيئة، ويميل المسلمون مثلهم مثل الأمريكيين إلى إعطاء الثقة التامة عندما يرون المشاهد المصورة للأطفال المرضى والفقراء، وتتمتع معظم الهيئات بالوضع القانونى، لكن هيئة واحدة أو اثنتين تكفيان لتشويه سمعة البقية. ولتوفير آلية للمراقبة فعلى الجماعة تحميل المسئولية ولا يتورعون عن طرح الأسئلة»[1].

يعتبر «مجلس الشئون العامة الإسلامى» الأقدم (وهو واحد من عدة هيئات) بين هيئات المسلمين الأمريكيين التى لا تقبل قرشًا واحداً من حكومات أو هيئات أجنبية، ويتم جمع الأموال بمجمله داخل الولايات المتحدة، وتنفق كل الأموال على مشروعات خدمية. لا يمكن توجيه مثل هذا القول للعديد من الهيئات المدنية التى تقوم بتمويل البناء غير الشرعى للمستعمرات الإسرائيلية وتمويل تسليح قاطنيها من المتطرفين.

---

(١) مقاومة الولايات المتحدة للإرهاب: بحث عن السياسة خاص بمجلس الشئون العامة الإسلامى، ص٦٤ / ١٩٩٩م.

وأحد المصادر الرئيسية للتشوش المعرفى الدولى يكمن فى السياسات المرتبطة بالأوضاع الحالية للمسلمين وفى المعاناة الناجمة عن هذه الأوضاع، والمسلم الأمريكى الذى يفكر فى التطهير العرقى فى البوسنة يتساءل: لماذا لا يُرَى انعكاسٌ للرأى العالمى داخل وطننا؟ من المعتاد أن تسمع شابًا مسلمًا يعلق قائلا: «إنهم لا يستنكرون التطهير العرقى للمسلمين، بالشدة نفسها التى يستنكرون بها الهولوكست؛ وذلك لأن الأمريكيين لا يؤمنون بأن حياة المسلم ذات قيمة تعادل حياة غير المسلم»، ويشعر المسلمون لذلك بأن قيمتهم كبشر قد انخفضت لما دون قيمة نظرائهم فى الخلق.

يأتى جزء كبير من الإحباط نتيجة رد فعل العالم العربى تجاه الرأى العام العالمى، وعلى حين فجأة يعطى العالم مزيدًا من الانتباه إلى الشعوب المقموعة من عدة عقود تحت وطأة زعامات إسلامية الظاهر على هيئة مستبدين، وديكتاتوريات عسكرية، وملوك، ولا يمكن للمرء أن يجد ديكتاتورية فى الشرق الأوسط لم تتمكن من التربع هناك بشكل أو بآخر (أو كنتيجة لرد فعل)، إلا نتيجة لسياسات الولايات المتحدة، ودائمًا ما تتنكب التطلعات الديموقراطية للشعوب العربية (مثلها مثل نظائرها فى العالم) عن الطريق بواسطة سياساتنا المدنية والخارجية، ولماذا لا يشير هؤلاء الخبراء الذين يسخرون من الشرق الأوسط ومن غياب الديموقراطية عنه، إلى الحقائق التى شكلت تلك المجتمعات داخل قوالب النظم القمعية التى تحكمها؟

وإذا كان الثمن المتوجب دفعه لحصول ديموقراطية فى إسرائيل، هو اختفاء فرصة حصول ديموقراطيات أخرى داخل المنطقة على الحياة، فإن هذا الثمن فى غاية الارتفاع. إنها هى السياسة الأمريكية العمياء المنحازة إلى إسرائيل، التى تحافظ على الديكتاتوريات فى عدد من الدول العربية، ومن المعروف أن تقويض التطلعات الديموقراطية للعالم العربى يحدث نتيجة سياستنا الخارجية؛ حيث إنها تعطى «الطالبان» أكبر مثال على ما ينمو فى الشرق الأوسط كرد فعل على أخطاء الولايات المتحدة فى هذه المنطقة.

ينبغى من أجل القضاء على الإرهاب أن نبدأ فى حوار مع شعوب العالم من خلال قادتهم المنتخبين شرعيًا، ومن الأهمية بمكان للولايات المتحدة، أن تحوز المصداقية لدى شعوب العالم من أجل إعطاء القوة للشعوب لممارسة مزيد من الضغط على

حكوماتها لتوفير مناخ الحرية، والمناخ الصحى للحياة، ويجب علينا أن نظهر لشعوب العالم أننا نريد لهم ما نريده لأنفسنا، أليست تلك هى القاعدة الذهبية؟

إننى أفكر مليّا فى أفعال الرئيس بوش حين يواظب على الثناء على صديقتنا باكستان والتى تناصر المبادئ والمثل الأمريكية، بينما يوجه استنكاره لإيران بوصفها أحد أعضاء «محور الشر»، مع مثل هذا التوجه من الولايات المتحدة، فإن المؤسسة العسكرية التابعة لـ «برويز مشرف» لن تتيح للشعب الباكستانى إمكانية إجراء انتخابات والحصول على برلمان ذى أعضاء يمثلون إرادته، ودعونى أعلنها بصراحة: إننى لست مؤيداً للسلطة الكبيرة للمجلس الأعلى لتشخيص النظام، ولكن على الأقل هناك تصويت؛ إذا لم يبدأ صانعو السياسة الأمريكيون فى النظر إلى إيران بوصفها ديموقراطية نامية، وينبغى دعم الإصلاحيين داخلها، فلن نتمكن على الإطلاق من استعادة الشرعية فى هذا البلد؛ و أنا أقترح أن يكون الاقتراب من إيران من خلال فهم أفضل لكتابات الرئيس خاتمى ورؤيته لبلده وللعالم الإسلامى، يجب أن تصبح الديموقراطية فى الشرق الأوسط وفى طول العالم وعرضه من أولويات السياسة الخارجية للولايات المتحدة، ومن ثم فإن من مصلحة الأمن القومى لأمتنا أن لا تشعر شعوب العالم بالقمع نتيجة لتقدمنا ورفاهيتنا.

يتوجب على الولايات المتحدة إذا كانت ترغب فى دعم الديموقراطيات فى الشرق الأوسط، أن تضغط تجاه حرية تدفق المعلومات من خلال وسائل الإعلام مثل قناة الجزيرة، وهذا مثال صارخ على كيف أننا ندمغ من خلال المبادئ الخاصة بنا، ونحن لا نؤمن بحرية الصحافة فى الشرق الأوسط؛ لأنهم يفضحون أخطاءنا، إذا نحن دعمنا الشرق الأوسط فى سعيه نحو الديموقراطية، فينبغى علينا أيضًا الترحيب بإصلاح جامعة الدول العربية. وعلى سبيل المثال، فإن المتحدثة الرسمية الجديدة لجامعة الدول العربية هى «حنان عشراوى» (*) الأستاذة والمسئولة الفلسطينية التى تمثل النموذج على قوة وقيادية المرأة مثل السيدة «تاريا هالونين» رئيسة فنلندا، الدولة المشهورة بالتقدم النسائى. من الملح أن نسمح للدول والشعوب بتقرير مصيرهم داخل ما يتوهمون أنه ظلال القوة العظمى ذات السيطرة.

لا تقتصر أخطاء سياستنا الخارجية على الشرق الأوسط فقط، ففى جواتيمالا

(*) أعتقد أنها لم توافق على قبول هذا المنصب لانشغالها - المترجم.

خططت المخابرات المركزية الأمريكية ونجحت فى الإطاحة بحكومة «أربنز» المنتخبة ديموقراطيًا، واستبدلت بها تلك التى يرأسها العقيد «كاستيلو أرماس» الحجة التى تقدمها للتدخل فى جواتيمالا وبقية دول أمريكا اللاتينية ، هى الحفاظ على أرباح وأصول «شركة الفواكه المتحدة»، والتى لدى المسئولين الكبار فى حكومتنا مصالح مالية خاصة فيها، توجهات السياسة الخارجية التى تقودها مصالح كبار المسئولين، ليست بجديدة على الساسة الأمريكيين المنتخبين وعلى القيادات المعينة، وقد شكّل «هنرى كيسنجر» مجموعة ضغط على الحكومة من أجل التعامل برفق مع نظام طالبان؛ بغرض الوصول إلى حد أدنى من التبعات المالية على شركات البترول الأمريكية الذى مارس الضغط على الحكومة بالنيابة عنها.

وفى شيلى ساعدت الولايات المتحدة «أجستو بينوشية أوجرات» على الوصول إلى السلطة ، وهو الذى تجاهد العديد من الحكومات لمحاكمته لتورطه فى التطهير العرقى والتعذيب والخطف للآلاف من الناس، ويجزم معظم الشيليين بإدانته ويرغبون فى محاكمته أمام محكمة شيلية.

ومع انتخاب «سلڤادور الليندى جوسينز» كرئيس عام ١٩٧٠م، على الرغم من التمويل السرى لخصومه من جانب المخابرات المركزية الأمريكية، أصبح البيت الأبيض متورطًا فى محاولة مفضوحة لتقويض استقرار الحكومة الجديدة، واعتمدت لجنة البيت الأبيض المسمّاة «لجنة الأربعين» حوالى ٩ ملايين دولار فى اعتمادات سرية؛ لتوزيعها بشكل رئيسى على الخصوم السياسيين للرئيس المنتخب الليندى فى الأعوام من ١٩٧٠م إلى ١٩٧٣م. وفى سبتمبر ١٩٧٣م، أطاح انقلاب عسكرى بالرئيس، واعترفت واشنطن فى الحال بالحكومة الجديدة التى يقودها «أجستو بينوشيه» ووضع الانقلاب النهاية لواحد وأربعين عامًا متتالية من الحكومات الديموقراطية فى شيلى، وهى المدة الأطول لأية أمة فى أمريكا الجنوبية[١].

تشكلت خلال حقبة «كيسنجر» الكثير من العلاقات المؤقتة ثم تقوضت جالبة معها الانهيار المعتاد للحياة المدنية، و المثل الواضح على ذلك هو فى التفاهم الذى حدث بين الرئيس فورد، وكيسنجر، والجنرال سوهارتو فى إندونيسيا الذى جاء على جماجم نصف مليون إندونيسى، وحكم بديكتاتورية حتى أوائل

(١) چون ألفين موروچيرى بوبانتز : من أجل خلق عالم جديد. ص ١٩١ / ١٩٩٩م.

التسعينيات، ثم بدأت الأحوال السياسية فى التحسن النسبى، مع التحسن الاقتصادى الكبير حتى جاءت الأزمة المالية لدول شرق آسيا فى أواخر القرن العشرين، وبدأت علاقاته تسوء بالولايات المتحدة، فألقت عليه تهم الديكتاتورية والفساد، متأخرة فى ذلك أكثر من عشرين سنة. يمكن العثور على أمثلة لقرارات السياسة الخارجية الأمريكية الخاطئة - إن لم نقل الإجرامية - بطول العالم وعرضه، تكتب عضوة الكونجرس «سينثيا ماكينى»: فى عام ١٩٩٤م بعدما أدى العمل الإرهابى إلى قتل رئيسين متوليين للحكم، فشلت إدارة كلينتون بشكل متعمد فى منع التطهير العرقى لمليون من الروانديين من أجل إقامة نظم موالية فى الإقليم. وفى عام ١٩٩٩م، أعطت «مادلين أولبرايت» موافقتها على خطة سلام فى سيراليون وضعت «فودای سنكوه» كرئيس للجنة إدارة الموارد الاستراتيچية، وهو المنصب الذى يخوله المسئولية فقط أمام الرئيس، على الرغم من حقيقة أن منظمته الإرهابية قد اغتصبت الفتيات الصغيرات، وقطعت أيديهن كما موّلت سبيلها إلى السيطرة عن طريق مبيعات الماس غير القانونية. وساعد «چون ساڤيمبى» الولايات المتحدة على حماية حكم الأقلية العنصرية فى جنوب أفريقيا، واستمرت منظمته فى إحداث القلاقل فى جنوب أفريقيا، وأنجولا، وناميبيا، ومناطق من الكونغو كينشاسا، ورواندا، من غير قيود على الإطلاق، مع التمويل عن طريق مبيعات الماس غير القانونية، والنهب المستمر لموارد الثروة فى أفريقيا دون أية تبعات، وللأسف بمعرفة ودعم القوة الهائلة لشعب الولايات المتحدة الذى وفّر القاعدة للإرهاب الخاص الذى وقع الأفارقة ضحايا له[١].

تضمنت وحشيتنا فى أفريقيا عمليات اغتصاب الموارد الطبيعية، مثل الماس عن طريق الأفراد الأثرياء أو الشركات، خاصة المحافظين المتدينين ومؤسساتهم الإعلامية، كما شمل توجهنا أيضًا عدم الرغبة فى ممارسة الضغط على الهيئات من أجل تخفيف سيطرتها على أدوية مرض متلازمة نقص المناعة المكتسبة (AIDS) المحتاج بيعها فى شكل غير مصون بالملكية الفكرية وبسعر فى متناول الدول مثل جنوب أفريقيا، وأنا أشعر بالفخر بأن أرى وطننا يحرز تقدمًا ملموسًا على طريق تيسير وفرة الحصول على أدوية مرض (AIDS) للحشود الأفريقية ذات المعاناة.

---

(١) عضوة الكونجرس سينثيا ماكينى: حرب من هذه فى الحقيقة؟ - مجلة المآذن، ص ٢٧ (مايو ٢٠٠٢م).

شعوب العالم لا تكره الأمريكيين، ولا أسلوب حياتهم؛ بل إنهم يكرهون ما يحل بحياتهم كنتيجة للقرارات السياسية التى اتخذتها حكومتنا، وما زالت تواصل اتخاذها. من المهم لنا كأمة من أجل الحفاظ على سلام فى المستقبل، أن نفهم أن دورنا داخل المجموعة الدولية يمكن لعبه بحيث يمنع الهجمات على وطننا، ويمنع العدوان على الأبرياء فى العالم بوسعه.

لا يتحدد ما هو أمريكى عن طريق النواب المنتخبين أو القياصرة المعينين، وإنما تحددت المبادئ الأمريكية عن طريق كتابات آبائنا المؤسسين، وبإطارات العمل الخاصة بالقانون المدنى والدولى، من أجل أن تبنى لنا «مجتمعًا فوق التل»، و ينبغى علينا أن نظل مخلصين لمثالياتنا، وأن نطبقها كونيًا، ولا تنشأ الديموقراطيات حيثما يوجد تصويت، وإنما تنشأ حيث تضع الحكومة إرادة الشعب موضع التطبيق، على كل شخص قد مثَّل الولايات المتحدة فى محفل دولى، ويعلم أنه من السهل إعداد قائمة مراجعة للمظالم التى ارتكبت ضد الآخرين باسم أمريكا، وبشكل عبثى.

ينبغى تغيير توجه وطننا تجاه العالم، ويتوجب اختفاء شخصية راعى البقر غير المسئولة التى تضع الرعب فى قلوب المظلومين من تبعات قراراتنا. دعونا ندخل مرحلة جديدة من تقدم أمتنا، نحوز فيها على دعم الشعوب والأمم القائم على المثاليات الأمريكية، و دعونا نعلن للعالم بوضوح أننا نؤمن بتمتعه بالحريات التى نملكها على أرضنا.

أن تؤمن بمساواة حياة الأمريكى بحياة أى شخص آخر فى العالم، فذلك هو الأمريكى، و أن تفهم أن كل قطاعات مجتمعنا تشعر بالقلق من تبعات السياسات الرديئة داخل الوطن، فذلك هو الأمريكى، وقد عبر د. إسلام عبد الله رئيس تحرير مجلة« المآذن»، عن رأيه لصحيفة «أنچلوس تايمز» فى ٣ يوليو ٢٠٠٢م قائلا: «سوف أدعو الله أن يحفظ هذا البلد ـ بلدى ـ ويحفظ شعبه، وأن يحميهم من جميع الأمراض».

ما ليس أمريكيًا هو تأييد (بشكل مباشر أو غير مباشر) الظلم، وتكميم الأفواه، والفقر على اتساع العالم.

* * *